الفنون البونية الليبية

تمهيد

تعد الحضارة القرطاجية أو البونية من الحضارات القديمة التي ازدهرت في حوض البحر الابيض المتوسط، و كونت قوة تجارية و عسكرية كبرى كانت لها السيادة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط لعدة قرون و ساهمت بشكل كبير في تكوين الشخصية الحضارية لشعوب المنطقة.

شيدت مدينة قرطاج على خليج تونس سنة 814 ق و شيئا فشيئا تسيدت المدينة بقية المستعمرات الفينيقية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، ثم أسست بدورها مستعمرات تابعة لها في المنطقة و طورت حضارتها الخاصة. غير ان هذه الحضارة غير معروفة مقارنة بالحضارة الرومانية و ذلك راجع إلى تدمير مدينة قرطاج على يد الرومان إثر الحرب البونية الثالثة سنة 146 ق.م و الذين عملوا على محو كل أثر لهذه المدينة التي نافست روما و وقفت في وجه التوسع الاستعماري الروماني في الحوض الغربي للبحر المتوسط و شمال إفريقيا.

إن تاريخ تأسيس مدينة قرطاج من طرف الأميرة الفينيقية عليسة كان محل نقاش في القديم و لا يزال كذلك إلى يومنا. فالرواية الشائعة ترجع تشييدها إلى سنة 814 ق.م كما ورد و التي ورد ذكرها في نص تيمي لآفلاطون (la Timée) و الذي لم لم يتبق منه سوى بعض المقاطع فقط. و إن كانت الحفريات الآثرية لا تؤكد ذلك فإن دراسة حوليات مدينة صور تدعم الفكرة القائلة بأن تأسيس المدينة كان خلال القرن IX ق.م

إنه لا من الصعب التفريق من خلال الاكتشافات الآثرية في الفضاء البوني الفينيقي ما هو فينيقي و ما هو بوني. فإمبراطورية قرطاج البونية تعد كونفدرالية لمستعمرات اتحدت تحت مظلة أقوى هذه المستعمرات. فبعد ضعف مدينة صور اخذت مدينة قرطاج على عاتقها سيادة هذه المستعمرات و توفير الحماية السياسية و التجارية لها.

إن الحضارة البونية هي في الواقع مزيج ناجح بين التقاليد الفينيقية الشرقية و التقاليد المحلية الليبية و تأثيرات مصرية و إغريقية. و يظهر ذلك جليا في الفنون البونية التي وصلتنا سواء من شمال إفريقيا او من المستعمرات القرطاجية في إسبانيا و صقليا و سردينيا. لقد عمل الرومان جاهدين على محو كل إثر لهذه المدينة، فدمروا جميع المدن البونية لذلك غير أهم ما وصلنا عن هذه الحضارة هي التماثيل الصغيرة، النصب، الأقنعة، التمائم، الاواني الفخارية و الحلي. و على قلتها فإن هذه البقايا المادية تعطينا صورة و لو كانت ناقصة عن العالم الذي كان يعيش فيه الأنسان البوني و الليبي.

التماثيل

شهدت الحضارة البونية ازدهار صناعة التماثيل الصغيرة (figurines) و التي غالبا ما تكون مصنوعة من الفخار المشوي و نادرا ما تكون من مادة صلبة. يتم تشكليها إما عن طريق تقنية الدولاب او عن طريق تقنية القولبة. و يبدو واضحا ان التماثيل ذات التأثير الفينيقي كانت مشكلة بواسطة التقنية الأولى، و التماثيل ذات التأثير الاغريقي كانت مشكلة بواسطة التقنية الثانية.

ففي الحالة الأولى، أي عن طريق الدولاب، كانت تستعمل الأواني الفخارية المقلوبة لتشكيل جسم التمثال، ثم تنقش عليه التفاصيل، و في غالب الاحيان ما كانت تضاف إلى الجسم الأقسام الاخرى مثل الاذنين، العينين، الأنف، الفم و الذراعين، حيث كانت تشكل على حدة في تلصق بالجسم. و في الاخير تضاف إليه الوان بشكل خطوط متقاطعة على الأمام و الخلف.

PDF Creator Trial

تصنف التماثيل المنجزة بهذه التقنية الى نمطين : النمط الأول جرسي (campaniformes) الشكل، حيث تكون قاعدته واسعة مقارنة بالقسم العلوي من الجسم، و الرأس يقوم على رقبة قصيرة جدا و اليدين مضمومتين على الصدر أو ممدودتين إلى الأعلى حاملة مصباح (صورة رقم 01). اما النمط الثاني، فإن التمثال يكون جسم بيضوي الشكل، حيث تكون القاعدة ضيقة و الجسم منتفخ بينما الرأس يقوم على رقبة طويلة مقارنة بتماثيل النمط الأول، و يد تغطي العضو الذكري (أغلب تماثيل هذا النمط تمثل ذكور) و اليد الأخرى فوقها قليلا (صورة رقم 02).

صورة رقم 01: تمثال جرسي الشكل

صورة رقم 02 : تمثال بيضوي الشكل

اما التماثيل المشكلة بواسطة القوالب، حيث ان الكثير من النماذج القرطاجية التي وصلتنا تظهر عليها بقوة التأثيرات الفينيقية، المصرية و الاغريقية. فالتأثيرات الفينيقية تظهر بشكل واضح في التماثيل التي تمثل نساء حاملات أو الاشخاص الذين يرتدون اللباس الكهنوتي, اما التأثير المصري فيظهر في التماثيل التي تتخذ شكل المومياء، بينما التماثيل التي يظهر عليها التأثير الاغريقي فهي الاكثر حضورا، البعض منها استود لكن الأغلبية شكلت محليا. بعضها يمثل نساء جالسات على عروشهن، و يحملن على رؤوسهن تاج أو وشاح اليدين موضوعة على الركبتين، و البعض الاخر تكون في وضعية الوقوف بلباس غني ذو ثنايا، و قرض أو حمامة على الصدر و طفل او جرة على الكتف (صورة رقم)، و أجمل نوذج هذا النوع من التماثيل بعل حمون بمتحف الباردو بتونس (صورة رقم 03) الذي مثل على شاكلة تماثيل الإله زيوس جالسا على عرشه يرتدي لباس طويل ذو ثنايا و ملامح وجه نحتت على الطريقة الاغريقية.

صورة رقم 03: تمثال بعل حمون

إذا كان هذا التصنيف يعتمد اساسا على ما عثر عليه في قرطاج و شمال إفريقيا أساسا، نجد نفس الأنماط من التماثيل تقريبا في المستعمرات القرطاجية في صقلية (Motyé) و في جزيرة سردينيا و إسبانيا مع بعض الاختلافات في معالجة التفاصيل من منطقة إلى أخرى، يمكن ان نذكر على سبيل المثال تماثيل جزيرة إيبيزا و التي تتميز عن غيرها من التماثيل المنجزة في المستعمرات القرطاجية بالحوض الغربي للبحر المتوسط (صورة رقم 04). في بعض الأحيان تتميز بالمبالغة في عرض الكتفين و أيادي صغيرة

PDF Creator Trial

ممدودة نحو الامام أو يد ممدودة و أخرى مرفوعة، عارية أو تلبس لباس ذو زخارف كثيفة من العناصر النباتية، كما تتميز بتصفيفة الشعر و بالتاج على رأسها (صورة رقم 04).

صورة رقم 04 : نموذج من تماثيل جزيرة إيبيزة

التماثيل النصفية (Protomés)

لقد امدتنا الحضارة البونية بالكثير من التماثيل النصفية مصنوعة من الفخار المحروق، وهي تتكوم من الرأس و الجزء العلوي من الجذع أو الصدر. و قد اكتسبت أهمية كبرى في قرطاج، و يبدو انها كانت غير معروفة عند الفينيقيين في الشرق، و المحتمل جدا انها مقتبسة من اليونان. و يبدو ان هذه التماثيل النصفية تمثل آلهة أو شخصيات مؤلهه و كانت وضيفتها هي انها تقدم كهدايا عرفانا لجميل او طلبا لخدمة أو جميل من الالهة حيث وجد أغلبها في المقابر، و أغلبها تمثل نساء و تصنف إلى مجموعتين حسب شكلها. المجموعة الأولى على النمط المصري، تتميز بملامح الوجه المصرية، و استعمال الشعر المستعار كما هو الحال عند المصريين و الذي ينحدر خلف الأذنين ثم على الصدر (صورة رقم 05). اما المجموعة الثانية ذات النمط الفينيقي–الاغريقي و التي تشبه كثيرا رؤوس التماثيل الاغريقية في العهد العتيق مثل ملامح الوجهة الابتسامة على الشفتين و تصفيفة الشعر (صورة رقم 06).

صورة رقم 05: بروتومي ذو تأثير مصري

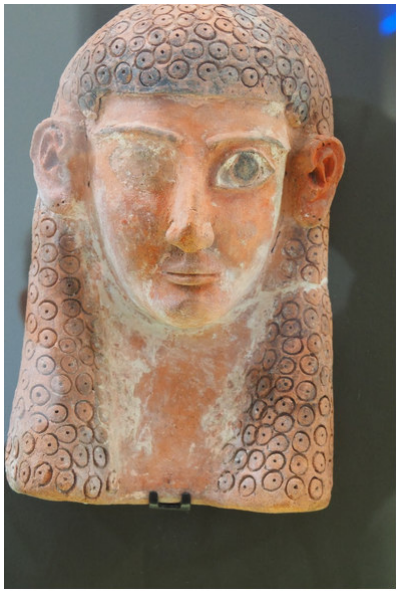

صورة رقم 06: بروتومي ذو تأثير اغريقي

PDF Creator Trial

الأقنعة

اما بالنسبة للأقنعة فهي كانت معروفة في بلاد الشام حيث وصلتنا بعض النماذج منها، غير انها في قرطاج اخذت تطورا كبيرا لم نشهده من قبل. من النحية التقنية فنهاك تشابه بين الأثنين, و هي مصنوعة من الفخار المحروق و يبدوا جليا انها لم تكن تحمل على الوجه و إنما كانت تعلق أساسا في المقابر حيث توجد بها ثقوب تعلق بها. و كان أغلبها بحجم الطبيعي فإن البعض الاخر ذو حجم صغير. و ما يميز الاقنعة القرطاجية هي ملامح الوجه المخيفة و في بعض الاحيان هزليه بالإضافة الى كونها تحمل حزوز لخطوط تبدو و كأنها و شم و حبيبات بارزة مما يزيد من حدة وحي الخوف الذي ينبعث منها (صورة رقم 07 و 08)، و يعتقد إن الهدف منها هو كان ابعد الأرواح الشريرة عن الاماكن التي كانت تعلق بها و بشكل خاص المقابر.

صورة رقم 07: قناع قرطاجي

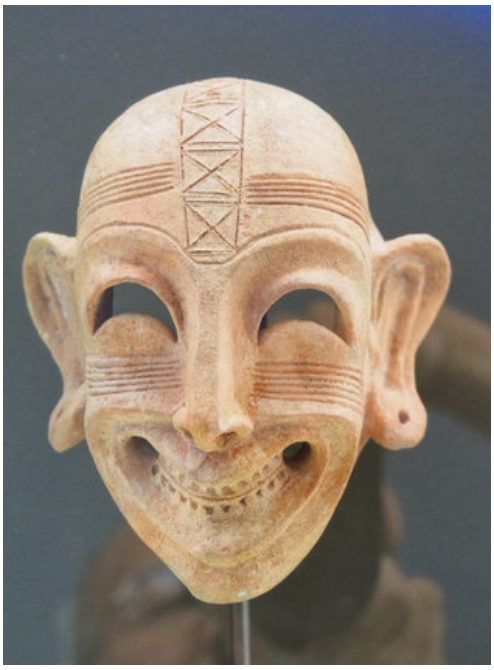

صورة رقم 08: قناع قرطاجي

التوابيت

و كانت تصنع من الفخار المشوي بقنية القولبة و هي تشبه من حيث الأسلوب التماثيل، حيث نلاحظ عليها التأثير المصري و الاغريقي بشكل قوي. و اجمل النماذج عن التوابيت و الذي تجتمع فيه في نفس الوقت التأثيرات المصرية و الاغريقية احد التوابيت حيث الشكل العلم للتابوت شكل على الطريقة الاغريقية، غطاءه يتخذ شكل جسم إمرأة جسمها يغطيه لباس على الطريقة المصرية أي اجنحة طائر التي ترمز إلى الآلهة إيزيس كما هو معهودا في التوابيت المصرية، تفاصيل الصدر ملامح الوجه فهي اغريقية (صورة رقم 09).

PDF Creator Trial

صورة رقم 10 : تميمة على شكل رأس من عجينة الزجاج

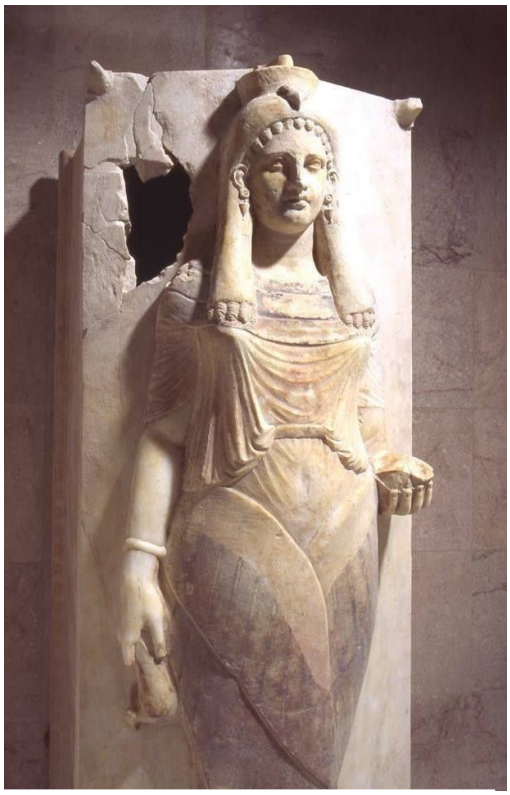

صورة رقم 09: تابوت من قرطاج

التمائم

تعد صناعة التمائم من الفنون التطبيقية و هي مقترنة كثيرا بالحلي و في بعض الاحيان يصعب التفريق بين الاثنين، ففي الكثير من الاحيان ان التمائم تكون عبارة عن حلي، و الحلي بدورها كثيرا ما تقوم بدور التمائم. و التفريق غالبا ما يعتمد على اعتبارات متفق عليها، فالتمائم اعتمادا على دورها و الحلي على قيمتها و مادتها.

فالتمائم التي عثر عليها في المقابر البونية ذات تأثير مصري واضح و غالبا ما تكون مصنوعة من عجينة الزجاج، و في بعض الاحيان من مواد ثمينة و في هذا الحالة البعض يعتبرها حلي. تكون على هيئة بعض الألهة المصرية مثل الصقر حورس، الثور بطاح، باس، تحوت أو عين حورس، او حيوانات و بعض الرموز مثل اليد و القلب زهرة اللوتس التي موطنها مصر الامر الذي يؤكد التأثير المصري. و إن كانت قسم من هذه التمائم مستورد من مصر فهناك بقايا أثرية في مدينة قرطاج تؤكد انها أنه على الأقل ان هذه التمائم كانت تصنع في مدينة قرطاج أيضا. و لعل أجمل هذه التمائم و المميزة لقرطاج هي الرؤوس الصغيرة التي تمثل رجل ملتحي و مصنوعة من عجينة الزجاج متعددة الالوان و كانت تستعمل مع حبيبات الخرز لتشكل قلادات (صورة رقم 10).

PDF Creator Trial

النصب

تعد النصب من اهم مظاهر الفن البوني و عرفت انشار واسع في جميع المناطق التي كانت تحت نفوذ قرطاج، و كانت توضع رفقة الجرار الجنائزية في المساحات المقدسة المسماة (Tophet) بشكل خاص في مدينة قرطاج (صورة رقم 11) و إن كانت هذه النصب منتشرة بكثرة في العالم البوني فهي قليلة في فنيقيا الوطن الأم، المؤكد ان النصب البونية تنحدر من النصب الفينقية لكنها تطورت بشكل مستقلا في شمال إفريقيا و في باقي مستعمرات قرطاج في الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط.

صورة رقم 11 : مشهد لموقع "طوفت" بقرطاج

و قد عثر على الألاف من هذه النصب في قرطاج و مستعمراتها. و يمكن تصنيفها إلى مجموعتين حسب التاريخ : المجموعة الأولى و تعود إلى الفترة الممتدة ما بين القرنين السابع و السادس قبل الميلاد و تتميز بقمتها المستقيمة، و المجموعة الثانية و ترجع إلى الفترة الممتدة ما بين القرنين الخامس و الثاني قبل الميلاد و تتميز بقمتها بشكل مثلث. أهم قسم من هذه النصب هو القسم المخصص لتمثيل المشهد الديني، و يكون هذا القسم عادة بشكل لوحة مستطيلة غائرة عن سطح النصب على جانبيها عمودين أو ركيزتين يحملان كورنيش على النمط المصري (corniche egyptienne) يتخللها قرص الشمس و في بعض الاحيان فوقها إفريز.

PDF Creator Trial

أما الاشكال الممثلة في هذه المساحة فهي متنوعة، ففي أقدم النصب كانت تنقش عليها اشكال هندسية أو مسلة (Bétyle) أو عدة مسلات (صورة رقم 12) و أخرى شكل يشبه الزجاجة (صورة رقم13) و تسمى (l'Idole bouteille) اما الأشكال الادمية فهي ممثلة بشكل تقريبي لجسم انسان، الذراعين ممتدين على جانبي الجسم و القدمين الملتصقتين ببعضهما البعض (صورة رقم 14).

صورة رقم 12 : نصب بوني

صورة رقم 13 : نصب بوني

صورة رقم 14 : نصب بوني

في المرحلة الثانية ظهر رمز تانيت (صورة رقم 15)، و هو عبارة عن مثلث يعلوه خط مستقيم فوقه قرص، و هي في الواقع تمثيل تجريدي لجسم امرأة ترتدي فستان عريض و ذراعاها ممدوتان. و لفترة طويلة كان يعتقد ان هذا الرمز موجود في شمال إفريقيا فقط غير ان اكتشافات حديثة تؤكد وجوده في فينيقيا.

صورة رقم 15: نصب بوني يحمل رمز تانيت

و إلى جانب رمز تانيت شهدت المرحلة الثانية انتشار العديد من الرموز الجديدة بشكل تدريجي مثل اليد الممدودة للتعبير عن الصلاة، و النخلة...ألخ كما نلاحظ ظهور صور لكاهن يقدم قربان رفقة الشخص المتعبد، و في نفس الوقت نلاحظ ظهور بعض الرموز الاغريقية (العمود الايوني، العمود الدوري، الدلفين، الأغصان، طيور متنوعة). اصبحت هذه النصب أكثر غنى و زخرفة خلال القرنين الثالث و الثاني قبل الميلاد بظهور اشكال هندسية جديدة (شوك السمك، الحلقات، البويضات و شبكات الخطوط المتقاطعة) و كذلك الكثير من صور الحيوانات منها الثيران، الكباش، الاحصنة، الفيلة،

PDF Creator Trial

الفهود، الحمام، البجع، الارانب...ألخ (صورة رقم 16) و ادوات طقوسية (مذبح، صناديق، مزهريات، سكاكين...ألخ) أما المواضيع الادمية فتتمثل في ظهور مشهد المتعبد و يجلس على ركيته اليسرى طفل و سقه اليمنى تحت جسمه.

صورة رقم 16: نصب بوني لتانيت مصحوبة برموز متنوعة

الفسيفساء

من الامور الشائعة ان أصل فن الفسيفساء يرجع إلى بلاد اليونان، الامر الذي يمكن ان نعيد فيه النظر، حيث نجد أنه في العديد من بيوت مدينة قرقوان استعملت تقنية الفسيفساء في تبليط الأرضيات، و تتمثل في تشكيل رمز الالهة "تانيت" بقطع من الرخام الأبيض على أرضية مكونة الاسمنت البني المطعم بقطع صغيرة حمراء سوداء و بيضاء (صورة رقم 17).

صورة رقم 16 : ارضية منزل في مدينة قرقوان

PDF Creator Trial

ثانيا : الفنون الرومانية

PDF Creator Trial